سلسلة حلقات

(حروف المعاني)

من كتاب

(صرف العناية في كشف الكفاية)

(للإمام العلّامة البيتوشي ت ١٢١١هـ)

يكتبها لكم :

د . خالد بن قاسم الجريان

(عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية)

الحلقة السادسة :

والثالث : معنى (من) التبعيضية، وممن ذكره الأصمعي، والفارسي، ونقل عن الكوفيين.

وقال به ابن قتيبة، وابن مالك استدلالا بقولة تعالى : (يشرب بها عباد الله)، أي : منها.

وقول الشاعر :

شربن بماء البحر ثم ترفعت *** متى لجج خضر لهن نئيج

أي : من ماء البحر.

وقوله :

ونحن منعنا البحر أن تشربوا به *** وقد كان منكم ماؤه بمكان

ومثلث له ملمحا بقولي :

٥٥- / قالت دموعي إذ أتاني يسري *** طيف حبيبي اشرب بماء البحر

طيف –بالإسكان- : مخفف (طيف) المشدد، كـ(ميت وهين)، واوي يائي ، وهو الخيال الطائف بالنائم، وهو فاعل (أتى)، وجملة : يسري : حال منه، وجملة : اشرب . . . . . إلخ : مقول (قالت)، وباء (بماء) بمعنى (من) ، والتقدير : قالت دموعي وقت إتيان طيف حبيبي لي : اشرب يا طيف من ماء البحر، تعني به نفسها.

الرابع : الظرفية، وعلامتها : أن يحسن في موضعها (في)، كقول الأعشى :

ما بكاء الكبير بالأطلال *** وسؤالي وما يرد سؤالي

الخامس : معنى (على) للاستعلاء، نحو قوله تعالى : (وإذا مروا بهم)، وقول الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأسه *** لقد هان من بالت عليه الثعالب

ومثلت للرابع والخامس ملمحا بقولي :

٥٦- وما بكا الكبير بالأطلال *** مرت بها سوالف الأحوال

ما : استفهامية مبتدأ، وبكا : خبره، يقصر – كما هنا – ويمد، وبالأطلال : أي : فيها، وهو كالطلول، جمع طلل لما شخص من آثار الدار، والأحوال : جمع حول بمعنى : السنة، وإضافة (سوالف) إليها من إضافة الصفة إلى الموصوف، (أي) : الأحوال السابقة، وجملة : مرت بها : - أي : عليها - : حال من الأطلال، على حد : (أو جاءوكم حصرت صدورهم)، وقول الشاعر :

. . . . . كما انتفض العصفور بلله القطر

السادس : معنى (إلى) لانتهاء الغاية، نحو : (وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن)

أي : أحسن إلي ، وقوله :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة *** لدينا ولا مقلية إن تقلت

وقيل : ضمن (أحسن) معنى (لطف) ، و(أساء) معنى (أضر)، والتضمين قال المرادي : قياسي عند الأكثرين.

ومثلت لذلك ملمحا بقولي :

٥٧- وكيف لا أبكي وقد أحسن بي *** دمعي إذ خفف بعض اللهب

كيف : ظرف عند سيبويه، واسم عند الأخفش، وهو في موضع الحال من ضمير (أبكي) قدم عليه وجوبًا لتضمنه معنى الاستفهام المقتضي للصدارة.

وجملة : وقد أحسن بي –أي : إلى - : حال من ضمير (أبكي) أيضا، وإذ : تعليل لـ(أحسن) على حد : (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم) ، أي : لأجل ظلمكم في الدنيا.

وهل هي حرف بهذا المعنى أو اسم؟ يأتي محله.

٥٨- / وبدلاً تأتي وزدها واجبه *** في فاعل ولا ضطرار غالبه

أشرت بقولي : وبدلاً تأتي : إلى المعنى السابع من معاني الباء وهو البدل، وعلامتها : أن يحسن في موضعها (بدل) كقوله :

وليت لي بهم قوما إذا ركبوا *** شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

أي : فليت لي بدلهم.

ومثلت لذلك ملمحا بقولي :

٥٩- وليت لي بهذه العذال *** في لوعتي من رق أو آوى لي

لي : خبر (ليت) وبهذه أي : بدل (هذه)، محله النصب حال من فاعل خبر (ليت)، والعذال : نعت (هذه)، وفي لوعتي : إما ظرف لغو متعلق بـ(العدال)، أو ظرف مستقر حال من الياء في (لي)، ومن : اسم (ليت) ، وهي إمَّا موصولة، وجملة (رق) صلتها، أو نكرة موصوفة والجملة صفتها، نظيرها في قوله :

رب من أنضجت غيظًا قلبه *** قد تمنى لي موتًا لم يقع

لدخول (رب) المختصة بالنكرات عليها.

وقوله :

وكفى بنا فضلا على من غيرنا *** حب النبي محمد إيانا

لوصفها بالنكرة على رواية جر (غير) .

وبهذا البيت ونحوه يرد زعم الكسائي أنَّها لا تكون نكرة إلا في موضع يخص النكرات كالبيت الأول، وأجاز ذلك الزمخشري في :(ومن الناس من يقول آمنا) على أنَّ (أل) في (الناس) للجنس، وقال : (إنْ كانت للعهد فـ(من) موصولة).

وقولي : آوى لي – من أويت له كـ (رمى)، أي : رحمته - : عطف على (رق) بمعناه.

الثامن : الإلصاق ، وهو أعلم معانيها حتى قيل : إنه معنى لا يفارقها، ولهذا اقتصر عليه سيبويه، وما سواه فيها عنده اتساع.

والإلتصاق الحقيقي كـ :أمسكت بزيد، إذا قبضت على نحو يده أو ثوبه، ومجازي كـ :مررت به.

التاسع : التعدية، وتسمى : باء النقل أيضًا، والغالب تعديتها للفعل القاصر نحو : ذهبت بزيد.

ومن ورودها مع المتعدي قولهم : صككت الحجر بالحجر، ودفعت بعض الناس ببعض، كذا قالوا.

والذي يظهر لي أنَّ هذا من تعدية القاصر أيضًا، لأنَّ (صكَّ) بالنسبة إلى (الحجر) الثاني قاصر كـ (دفعت) بالنسبة إلى (بعض) الثاني، وكذا غيرهما مما لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد.

العاشر : الاستعانة، وهي الداخلة على آلة الفعل نحو : / كتبت بالقلم ، قال المرادي :

(ومنه في أشهر الوجهين : بسم الله)

الحادي عشر : السببية ، نحو : (إنَّكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) ، ومنها – كما قال المرادي – نحو : لقيت به الأسد.

الثاني عشر : المقابلة، وهي الداخلة على الأعواض : كـ : اشتريته بألف، وقد تسمى : باء العوض.

الثالث عشر : القسم ، نحو : بالله لأفعلن، وهي أصل حروفه، ولذلك خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو : أقسم بالله، ودخولها على الضمير، واستعمالها في القسم الاستعطافي نحو : بالله هل قدم محبوبي؟ أي : أسألك بالله مستحلفا، كما قاله ابن هشام.

الرابع عشر : التبيين، ولم أر من ذكره في تقسيم الباء، نحو : مرحبا بك وأهلا بك، أي : هذا الدعاء مختص بك، كما قاله الرضى.

وقال خالد في التصريح : (بك متعلق بـ(مرحبا)).

ونحو : بعته يدًا بيد، قال ابن الحاجب في شرح المفصل : (إنَّ الباء فيه للتبيين) ونسبه إلى سيبويه.

وأما الباء الزائدة : فقد أشرت إليها بقولي : وزدها واجبه. . . .إلخ، أي : إنَّ الباء تجيء مع الفاعل زائدة، و زيادتها واجبة وضرورة وغاليه :

(فالواجبة مثل : أحسن بزيد، في قول الجمهور : إنَّ الأصل : أحسن زيد، بمعنى : صار ذا حسن، ثم غيرت صيغة الخبر إلى الطلب، وزيدت الباء إصلاحًا للفظ)

وهو مذهب سيبويه وجمهور البصريين.

وأمَّا الفراء والزمخشري وغيرهما ، فيجعلون (به) في : أحسن به في موضع النصب بالمفعولية، لأنَّهم يرونه أمرًا حقيقة لا خبرًا، وهي لازمة عندهم أيضًا.

وقد تحذف هذه الباء – كما في التسهيل – على المذهبين إنْ كان المتعجب منه (أن) وصلتها خلافا لبعض، كقوله :

وقال نبي المسلمين تقدموا *** احبب إلينا أنْ يكون المقدما

ومثلت لمجيئها زائدة في الفاعل واجبة بقولي :

٦٠- لي قمر ما إن له من مشبه *** أحسن به أحسن به أحسن به

لي : خبر مقدم، وقمر : مبتدأ مؤخر، /سوغ الابتداء به – وهو نكرة – نعته بما بعده، مع تقدم خبره عليه، كـ : في الدار الرجل.

وما : نافية، وإن ومن : زائدتان لتوكيد النفي، ومشبه : مبتدأ نكرة سوغ الابتداء به كونه في حيز النفي، والنكرة في حيز النفي بمنزلة المعرف بـ(أل) الجنسية مع ما ذكرنا في (قمر) وجملة : ما إن له . . . .إلخ : نعت (قمر)، وأحسن : فعل تعجب طلبًا لفظًا، إخبارًا معنى، والباء في (به) : زائدة، والهاء : فاعل (أحسن) كان ضميرًا مستترًا فبرز، وأدخل عليه الباء الزائدة إصلاحًا للفظ لاستقباحهم إسناد لفظ صيغة الأمر إلى ضمير الغائب كاستقباحهم ذلك في الاسم الظاهر من نحو : أحسن بزيد، فصار ما بعد الباء فيهما على صورة المفعول به في : أمرر بزيد، ولهذا جاز حذفه عند العلم به نحو : (أسمع بهم وأبصر).

والضرورة وهي : مالا يجوز في النثر على الصحيح، لا ما لا مندوحة عنه للشاعر.

قال المرادي : وهي أبيات محفوظة، منها قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمي *** بما لاقت لبون بني زياد

وقوله :

ألا هل أتاها والحوادث جمة **** بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

وقوله :

مهما لي الليلة مهما ليه *** أودى بنعلي وسربالیه.

أودى بمعنى هلك .

ومثلت لذلك ملمحا بقولي :

٦١- أما أتاكم والعلوم تنمي *** بما لقيت بعدكم من سقم.

الهمزة للاستفهام، وما : نافية، والعلوم أي : الأخبار، وتنمي : ترفع وتشيع كـ : تنمو، والجملة اعتراض بين (أتى) وفاعله، وهو (ما) الموصولة.

والباء زائدة اضطرارا، ولقيت : صلة (ما)، والعائد محذوف، وبعد : ظرف (لقيت)، ومن سقم : بيان لـ(ما)، أو (ما) موصوفة، ولقيت : صفة، والرابط محذوف.

والغالبة : هي التي في فاعل (كفى) بمعنى : حسب، نحو : (كفى بالله شهيدًا) ، قال بعض منهم ابن هشام : فإن كان بمعنى الوقاية لم تزد في فاعلية نحو (وكفى الله المؤمنين القتال) ومنهم من ضمن (كفى بالله) معنى : اكتف، قال ابن هشام : (وهو من الحسن بمكان)، أي : فالباء ليست زائدة.

ومثلت لذلك ملمحًا بقولي :

٦٢- كفى بدمعي شاهدًا في كمدي ❊❊❊ وضعف جسمي ونفاد الجلد

كفى : فعل، ودمعي : فاعل، والباء : زائدة، وشاهدًا : تمييز لرفع إبهام النسبة، والعامل في نصبه : كفى.

وأما قول ابن مالك :

اسم بمعنى من مبين نكره ❊❊❊ ينصب تمييزًا بما قد فسره

فمقيد بما يفسر الاسم نحو : عشرون درهما.

وفي كمدي – أي : في ثبوته - : متعلق ـ بـ(كفى)، وهو محركًا : الحزن الشديد، فعله كفرح، وهو كامد وكميد وأكمده فهو مكمود، قاله في القاموس.

وضعف بالفتح، ويضم ويحرك من بابي : كرم ونصر، وهو إمَّا مرفوع عطفًا على موضع (دمعي)، أو مجرور عطفًا على لفظه، أخذا مما قالوا في (أنَّه) في : (أولم يكف بربك أنه).

ونفاد – بفتح النون وبالدال المهملة - : مصدر : نفد، كـ: علم إذا فني، معطوف على (دمعي) بالوجهين في (ضعف).

والجلد – بالجيم محركة - : الشدة والقوة، فعله كـ: كرم، والوصف ك : جلد – بالسكون – وجليد.

خاتمة :

اعلم أن حروف الجر الزائدة كـ : الباء في (كفى بالله) لا تتعلق بشيء، وكذا (لعل) الجارة، و (لولا) في نحو : لولاي ولولاك، ورب وكاف التشبيه وخلا وعدا وحاشا، إذا جررن على ما في بعضها من الخلاف.

وقد نظمت ذلك في قولي :

ما لا له تعلق من أحرف الـ ❊❊❊ جر لعل رب لولا وخلا

حاشا عدا والكاف للتشبيه مع ❊❊❊ ما زيد والخلف ببعضها انجلى

وقد ذكرها ابن هشام بما فيها في المعنى مفصلة .